

النجف في التاريخ النجف منتجة للتاريخ



شارك مساعد الأمين العام لمؤسسة الإمام الخوئي الخيرية ومدير فرعها في العراق من النجف الأشرف المؤتمر الدولي (النجف في التاريخ النجف منتجة للتاريخ) وألقى كلمته بعنوان (مدرسة النجف ومحاولات الانفتاح على الأديان السماوية والمذاهب الإسلامية) الذي عقده المعهد الفرنسي للشرق الأدنى و معهد العالم العربي في باريس بتاريخ/ ٢١ و ٢٢ اذار ٢٠١٣. وهذا نص الورقة:

مدرسة النجف ومحاولات الانفتاح على الأديان السماوية والمذاهب الإسلامية
لا يخفى أن أصل الرسالات السماوية من مصدر واحد، وأساسها مكارم الاخلاق لجميع بني البشر.. وقد شرع القرآن الكريم قبول التعددية والتصديق بكل الأديان والتواصل معها، ونبذ الفرقة بين معتنقها بقوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) الشورى 13 .. ومن خلال هذه الآية الكريمة نلاحظ الشمولية والوضوح في التسامح بعيداً عن الصراعات، ولم يُخصص ديناً أو فئة أو حضارة معينة، بل يعطي منهاج السبيل الواحد ... وتطبيقاً للنهج السماوي في التوحيد كان دور الداعية الأولى للرسالة الإسلامية نبينا محمداً (ص) توجيه الأمة من خلال حديثه الشريف الذي اوجب الله تعالى الالتزام بنصوصه حرفياً إذ قال (خير الناس من نفع الناس) وهو نداء شامل للجميع ودعوة الى عالم تسوده المحبة والسلام والنفخ العام . ما أوجزته في مقدمتي منطلق لرؤية مدرسة النجف تلك المدينة التي تشرفت بمرقد رمز عظيم من رموز الانسانية الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، حيث تأسست احدى أعرق وأقدم مؤسسة دينية بجوارهِ على يد العلامة الشيخ الطوسي (1201-1274م) بعد عام من سيطرة السلاجقة على

بغداد (عام 1224م) والهجوم على داره وحرق كتبه مما اضطره الى الهجرة للنجف لتكون الميدان الرئيس لنشاطه العلمي منطلقاً لبناء المؤسسة الدينية وتنشئة جمهور من الفقهاء . ومنذ ذلك الوقت ظلت النجف تشكل مركز ثقل المسلمين الشيعة الامامية في العالم ومنها تتفرغ الحوزات الدينية في العراق وخارجه. وبما ان جميع هذه الحوزات تدرس الفكر الشيعي وعقيدته الاساسية الايمان بإمامة علي بن ابي طالب (ع) وأولاده من فاطمة (ع). لذا اصبحت تشكل المظلة الروحية لكافة الحوزات الاسلامية الشيعية. وما تميزت به تلك المدينة ارثها الحضاري والفكري والثقافي وأتباع الاسس التي وضعها أمير المؤمنين (ع) الذي بدوره يجسد روح الرسالة السماوية ونهج النبي الاكرم (ص) من خلال نظريته الايجابية للجمع بعيداً عن انتماهم وصنوفهم ، وخير مصداق على ذلك رسالته وعهده الى والي مصر مالك الاشر، حين يطلب منه انصاف الجميع من دون النظر لدياناتهم واتجاهاتهم فيصنفهم صنفان (إما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق). ومن تلك المفاهيم والقيم الدينية النبيلة وضعت الحوزة العلمية في النجف الاشرف الاسس الرصينة لمناهجها وكان لها الاثر البالغ في سلوك وأخلاقيات علمائها ومراجعها وأتباعهم. فقد أفتى احد كبار علماء النجف وهو السيد ابن طاووس الحلي(519-674هـ) حين قال : (الحاكم غير المسلم العادل خير من المسلم الظالم) وهذا يعني غض النظر عن ديانته ومذهبه ، وللإمام السيد محسن الحكيم المضمون نفسه. وفي مضمار آخر ، النص الوارد بكتاب الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الاول (734-786هـ) حين يقول ((من شرائط قصر السفر ان لا يكون السفر معصية : قال الشهيد الاول ، في صلاة المسافر في شرط ألا يكون السفر معصية ، ما نصه : (وألا يكون سفره معصية بأن تكون غايته معصية أو مشتركة بينها وبين الطاعة ، أو مستلزمة لها كالتاجر في المحرم والآبق والناشر والساعي على ضرر محترم) . والمقصود من المحترم هو ضرر قوم من المسلمين بل والمحترمين من المعاهد والذمي ، إذن بالإطلاق يشمل الانسان المحترم المال والعرض والنفس من المسلمين وغيرهم. ونجد الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري (1214 - 1281 هـ) في كتابه فرائد الأصول، رسالة الاستصحاب التنبيه الخامس حيث يحكم بجواز استصحاب الحكم الشرعي القطعي من الأديان السماوية السابقة فيما لو لم يوجد حكمه في الشريعة الإسلامية ونصه: (أنه لا فرق في المستصحب بين أن يكون حكماً ثابتاً في هذه الشريعة أم حكماً من أحكام الشريعة السابقة، إذ المقتضي موجود - وهو جريان دليل الاستصحاب - وعدم ما يصلح مانعاً). ومن جهابذة العلماء المتأخرين العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (1865 - 1933 م) الذي له مؤلفات كثيرة حول الأديان ومنها كتاب (الرحلة المدرسية او المدرسة السيارة) إذ اهتم بقراءة النصوص المقدسة لسائر الأديان من مصادرها الأصلية وأحياناً بلغاتها القديمة ومنها اللغة العبرية ، وكانت له مراودات وعلاقات مباشرة مع اليهود والمسيحيين في مناطق مختلفة من العراق مثل مناطق : ذي الكفل وبغداد و... واجتنب في مؤلفاته عن استخدام أي مساس بياقي الأديان والمذاهب ، بل التزم بالموضوعية والإنصاف العلمي . وهناك تفسير لجونا المرجع الإمام السيد أبو القاسم الخوئي (1899-1992م) حول المقصود بالمشرك في الآية القرآنية الكريمة { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } التوبة 9/28 حيث قال : (أن الشرك له مراتب متعددة لا يخلو منها غير المعصومين وقليل من المؤمنين ومعه كيف يمكن الحكم بنجاسة المشرك بما له من المراتب المتعددة؟ فان لازمه الحكم بنجاسة المسلم المرابي في عمله، حيث أن الرياء في العمل من الشرك وهذا كما نرى لا يمكن الالتزام به فلا

مناص من أن يراد بالمشرك مرتبةً خاصةً منه وهي ما يقابل أهل الكتاب ... فالإنصاف أن الآية لا دلالة لها على نجاسة المشركين، فضلاً عن دلالتها على نجاسة أهل الكتاب). لتفصيل أكثر راجع (موسوعة الإمام الخوئي ج3 ص 38 كتاب الطهارة). وما يثبت حرص النجف على الحوار المتواصل والتركيز على العدالة الاجتماعية وبدون تعصب وليس بالكلام والكتابات فقط ، حين يفتي المرجع الأعلى للمسلمين الشيعة في زماننا الحاضر الامام السيد علي السيستاني في كتاب (منهاج الصالحين ج ١ ص ١٣٩) وكذلك باقي مراجع الحوزة العلمية في النجف الاشرف .. الى طهارة أهل الكتاب وهذا هو الرأي المشهور عند المتأخرين من الفقهاء . أما لدور النجف في التقريب فهناك قائمة طويلة من العلماء .. فأول من اقتدى بأساتذته والسلف الصالح في التقريب بين المذاهب الإسلامية الشيخ الطوسي ، حيث أَلَّف كتاباً في مسائل الخلاف على اثر استاذة العلامة الشريف المرتضى (٩٦٦-١٠٤٤م) ، وفي مشروع دار التقريب التي كان أعمدها العلامة المرجع الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٢٩٤-١٣٧٣ هـ) ، والشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر آنذاك ، وعقدت الزيارات المكوكية والمؤتمرات ، منها المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في مدينة القدس الشريف عام ١٩٣١م حيث أمَّ كاشف الغطاء المصلين في مسجد الأقصى المبارك. كما سافر أيضاً لنفس الغاية إلى دمشق وبيروت والقاهرة وفلسطين وكراتشي وطهران إضافة إلى الديار المقدسة في الحجاز وأمّ المصلين خلالها في الحرم المكي وخطب فيهم .. ومن الأسماء البارزة للذين لهم في مجال التقريب الأبحاث والمناظرات والتي شاركت ببحوثها القيمة التي نشرت في مجلة رسالة الإسلام (التي صدر العدد الأول منها سنة ١٩٤٩م ، واستمر بالصدور حتى العدد ٦٠ الذي صدر سنة ١٩٧٢م) مجموعة من العلماء وعمالقة الفكر والبحث أذكر منهم : الشيخ محمد رضا الشيباني ، والسيد هبة الدين الشهرستاني ، والسيد صدر الدين الصدر ، والشيخ محمد جواد مغنبة (١٣٢٢هـ - ١٤٠٠هـ) الملقب (بقلم الشيعة) وصاحب كتاب الفقه على المذاهب الخمسة ، والسيد مسلم الحسيني الجليبي ... ويذهب العلامة السيد محمد تقي الحكيم (١٩٢٢ - ٢٠٠٢ م) الذي عُرف في العالم الإسلامي ببحوثه المقارنة في الفقه والأصول وألَّف كتاباً قيماً (الاصول العامة للفقه المقارن) والسيد مرتضى العسكري مؤلف كتاب معالم المدرستين بثلاثة اجزاء ومؤسس كلية اصول الدين في مجمله محاولة تقريبية فكرية فريدة يقل نظيرها ... وكان للسيد الشهيد محمد باقر الصدر (١٩٣٣-١٩٨٠م) في التقريب من خلال بحوثه ومؤلفاته ، دوراً ريادياً معروفاً لدى الجميع في هذا المجال. ويعتبر الشيخ محمد رضا المظفر (١٣٢٢-١٣٨٣ هـ) مؤسس كلية الفقه في النجف من رواد التجديد في المسار الفكري اذ يعتبر ثقافة الحوار امانة علمية يجب الخوض بها وله المقولة (ان التقريب هي كلمة مباركة وان جميع الانبياء بعثوا من اجل التقريب داعياً الى ازالة الفهم الخاطيء عن التقريب، فالتقريب لا يعني ان يصبح الشيعة سنياً او السنني شيعياً. وتابع ان التقريب يعني الا يلجأ الناس الى التعصب في التعامل مع احدهم للآخر، لان جذور جميع الاخفاقات تكمن في التعصب وان التعصب هو نتيجة الجهل وان الذين لا يعرفون الروح المعمقة للإنسان، ولا علم لهم بالأخلاق ، يمارسون التعصب) ... والى اليوم القريب وأثناء لقاء السيد السيستاني بمجموعة من علماء السنة والشيعة أكد بأن (لا تقولوا اخواننا السنة بل قولوا انفسنا). وآخر النشاطات التي احتضنتها مدينة النجف ، وإيماناً منها بضرورة نشر ثقافة الحوار والتعايش السلمي ، تبنت مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية مع رهبنة الالباء الدومينكان في العراق ومؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية .. تأسيس المجلس العراقي لحوار الاديان؛ غايته إجراء حوار

عقلاني بين كل أطراف الشعب العراقي . وجاء هذا المشروع نتيجة لدراسة معمقة وطويلة للمشكلات الاجتماعية في مجال التعايش والتسامح في العراق ، وهو مشروع فكري يهدف إلى تأسيس وتنمية هوية عراقية عقلانية جامعة لكافة أطرافها ومبتنية على أسس ومبادئ التسامح والتعايش وقبول الآخر، ويتم عبر إيجاد منظومة واسعة من الاتصالات بين النخب الفكرية ذات الامتدادات الاجتماعية في المجتمع العراقي. ومن خلال ما تقدمت به لم نشاهد في حوزة النجف الأشرف من علماء ومراجع أي فتوى فيها إساءة أو توهين أو اقصاء أو تهميش لباقي الأديان والمذاهب، بل العكس فهناك فتوى للإمام الخوئي بحرمة سب وتوهين المقدسات والرموز الدينية لأتباع الأديان الأخرى... ومن يفتد الى النجف يجد الترحاب ، حيث لا يخلو مرفد الامام علي (ع) من الزوار المسلمين من باقي المذاهب وكذلك غير المسلمين وهذه خصوصية غير موجودة في كثير من الدول الإسلامية ، وأما من يلاحظ مكنتاتهم يجدها غنية بمؤلفات أتباع الأديان والمذاهب الأخرى ويبيع الكثير منها بشكل ملحوظ وعلى هذا النهج تبقى مدرسة النجف الأشرف بحوزتها العلمية على خطى علمائها ومراجعها حاضنة للجميع .. ومن منبركم هذا نؤكد سعيًا للتواصل مع كل محب للسلم والوئام والحياة الكريمة لبني الانسان مهما كان دينه ومشربه والسلام عليكم.

جواد الخوئي مؤسسة الامام الخوئي الخيرية النجف الأشرف